حميدتي... العودة إلى الخطة «ب»

حمّور زيادة

لو كانت الحياة تسير في النسق الروائي لكان خطاب قائد قوات الدعم السريع، محمد حمدان دقلو (حميدتي) في 9 أكتوبر/ تشرين الأول الجاري، آخر خطاباته العلنية، وتنتهي بعده قصّته بنهايةٍ دراميةٍ تُشعِر القارئ بالرضا. لكن الحياة (رغم سخائها الفنّي) لا تسير عادة في هذا الشكل. ويبدو «حميدتي» في هزيمته مصمّماً على الإيذاء. خلال 18 شهراً مضت، ظلّ خطاب «الدعم السريع» الرسمي مُكبَّلاً بكثير من الدبلوماسية التي غابت عن الطرف الآخر. ويبدو الرجل في خطابه أخيراً قد تخلّص من سلطة المستشارين وشركات العلاقات العامة، التي كانت تحاول إعادة تسويقه محارباً من أجل الديمقراطية، وارتدّ إلى ما يعرفه من خطاب قَبَلي تحريضي يرمي اللوم على العالم كلّه، ويعتبر نفسه «ابن البادية البسيط، الذي لم ينل من الدولة إلا عُنفها». يظهر الرجل في التسجيل الطويل سيئ المونتاج غاضباً من المجتمع الدولي، ويكيل له الاتهامات، ويشير إلى اتهام القوى المدنية اتّهاماً لها، ويقول إنّ الاتفاق الإطاري هو سبب الحرب. وهو هنا يزاحم خصمه في ساحته، فهذه الاتهامات ظلّ الجيش يردّدها ضدّ الجميع، ويلقي تهم التآمر ضدّه على العالم والمؤسّسات الدولية والأحزاب السياسية. خلال هذا الوقت كلّه، ظلّت «الدعم السريع» تمدح المجتمع الدولي ودول الجوار، لكنّها الآن ترجع إلى العقلية الطبيعية التي تربى عليها قادة الحرب كلّهم، عقلية نظام البشير/ الحركة الإسلامية الممتلئ بعداء العالم، والمولع بخوض المغامرات، والتعويل على التحالفات الدولية وتناقضاتها لتعزيز سلطته. وهو رجوع متأخّر على مستوى الخطاب، أمّا الأفعال فلم تتغيّر، منذ كانت «الدعم السريع» ترتكب الجرائم في دارفور لحساب النظام الحاكم، وحتّى أصبحت ترتكبها لحسابها الشخصي في أنحاء السودان كافّة.

منذ ظهوره في الساحة السياسية، ظلّ قائد «الدعم السريع» يشكو من آخرين يشوّهون صورة قوّاته، ويلصقون بها الانتهاكات. لم يتوقّف الرجل 20 عاماً عن لوم الآخرين. كانت الحركة الإسلامية ورموزها يؤيّدون هذا الخطاب قبل سقوط نظام عمر البشير، ويقولون إنّ قوات الدعم السريع مستهدفةٌ بالأكاذيب والشائعات. عقب الثورة، واصل قادة الجيش ذات التأييد لهذه الاتهامات. لكنّ حميدتي في ظهوره أخيراً أشار إلى أنّ حلفاء الأمس يطلقون ضدّه الشائعات. وبدا مستعطفاً المواطنين، وهو يشكو من محاسبته بما ارتكبه مَنْ سرقوا البيوت والممتلكات الخاصّة، ويطلب عدم تحميله جرائمهم، ويتحدّى مساعدة وزير الخارجية الأميركي للشؤون الأفريقية، مولي في، أن تُكذِّب بعض ما قال (!) ويستشهد بقادة الجيش، الذين توعّدهم سابقاً بالمحاكمة، أن يقولوا كلمة الحقّ، وأنّه كان رافضاً لاتفاق تسليم السلطة للمدنيين، ثمّ يوجّه الاتهام إلى مصر ليبرّر هزيمة قوّاته. لا جديد في لغة الخطاب إلّا العودة إلى الخطاب التقليدي. أمّا موضوعه فهو إعلان خسارة معاركَ ومواقعَ مهمّةٍ عجز عن استردادها، وخسارة مقاتلين حتّى لجأ إلى إعلان التعبئة في خطاب استعطافي، وادّعى أنّه بلا حلفاء بينما يقاتل جيشاً معه سبع دول، ويبدو أنّ ذلك أكثر ما يوجعه. إن لم يكن هذا إعلان هزيمة فماذا يكون؟ لكنّ الرجل يقرّر أن يكون مؤذياً حتّى النهاية، مع مرارة الهزيمة البادية في الخطاب، يُصعِّد ضدّ المجتمعات المحلّية ودول الجوار. فمع خطابه صدر قرارٌ عن قيادة «الدعم السريع» في إقليم دارفور بحظر إدخال عددٍ من السلع إلى مناطق سيطرة الجيش منها الذهب، والصمغ العربي، والماشية، والسمسم، لا تبدو واضحة الآن قدرة «الدعم السريع» في تنفيذ هذا الحظر، لكنّه مُؤشّر لعدم استقرار الإمداد من هذه السلع، ممّا يؤثر في المستوردين.

كما جاء في الخطاب استهداف عِرقي واضح تجاه واحدة من أكبر وأكثر قبائل شمال السودان أهمّية، وهو تهديد للمناطق التي طالما هدّد مقاتلو «الدعم السريع» بنقل الحرب إليها وحرق نخيلها. لم تكن تلك جملةً عابرةً، بل رؤيةً كاملةً للعالم حاول قائد «الدعم السريع» تغطيتها بالمستشارين وشركات العلاقات العامة، لكنّها ما كانت لتُخفَى طويلاً، فعاودت الآن الظهور. ما سمّاه حميدتي الخطّة «ب» هو التخلّي عن محاولة التنظير لحربه، والعودة إلى الخطاب العشائري التدميري. خطاب تمارسه قوّاته في الأرض منذ تكوينها. لكن هل ما زال في إمكان الرجل أن ينفّذ أيَّ تهديد؟ ... حتّى هذه اللحظة، يبدو قادراً على الإيذاء، أمّا حلمه بالحكم فيبدو أنّه مات، أو يحتضر، لذلك يحاول إنعاشه بمزيد من الحرب والفوضى.

أهيَ نكبةٌ ثانية تُحاكُ للسودان؟

جمال محمد إبراهيم

(1)

يقال إنّ النار تستشري من أصغر الشرر... تواترت أنباء لا يعرف أحدٌ لها مصدراً تفشّت بسرعة كبيرة كما النار في الهشيم، بأنّ ثمّة صفقة يقول حائكوها إنّ إيقاف تدمير الجيش الإسرائيلي قطاع غزّة رهين بإخراج حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من القطاع، وأن يرحلوا بعيداً، ليس عن حدود إسرائيل فقط، بل أبعد من المعابر إلى الضفّة الغربية أو مصر، إلى منفى يأويهم في السودان.

حتّى إن كانت تلك أضغاث أحلام طافت برأس نتنياهو وأعوانه الأشرار في دولته اللقيطة، فإنّ المنطق السوي لا يسند طرحاً مثل هذا الطرح الفطير، الذي يتجاوز الجغرافيا السياسية، ويعبر إلى تخوم الجغرافيا الخيالية. غير أنّ في زمان الموجودات الافتراضية، والقدرات الشيطانية للذكاء الاصطناعي، فلنا أن نتوقّع جواز ما لا يجوز، واصطناع ما استبعد العقل البشري اصطناعه.

(2)

سعى شارون، في الثمانينيّات، إلى أن يقنع رئيس السودان وقتذاك بأن يقبل ترحيل يهود الفلاشا من إثيوبيا إلى ملاذ آمن لهم في أرض إسرائيل، وللشيطان الإسرائيلي مآرب أخرى في مطلبه ذاك. للأسف! قَبِل الرئيس الرّاحل جعفر النميري تلك الصفقة، ونقل الآلاف من يهود الفلاشا إلى إسرائيل، في بيئة اجتماعية وسياسية لا قِبَل لهم بها، وقد أسفرت تلك الصفقة عن أوضاع مأساوية ليهود إثيوبيين سمر كثيرين، وآثر كثيرون منهم الهروب من واقع ملتبس تعسّر عليهم الاندماج فيه، ولقوا من التمييز العنصري ما أشعرهم بالندم على الخروج من إثيوبيا ومساقط رؤوسهم فيها. تلك مغامرة غير محسوبة العواقب، تعمّد مخطّطوها زرع مجموعة بشرية من أفريقيا في فضاء من فضاءات الشرق الأوسط، الذي تمور أطرافه بحروب وأزمات تجذّرت عميقاً في التاريخ، ورأينا تداعياتها تتعقّد في كلّ يوم وفي كلّ ليلة. فأي أبلهٍ يفكّر في تنفيذ تجربة عكسية، تنقل مجموعات من عرب فلسطين من الشرق الأوسط، إلى أصقاع أفريقيا؟

(3)

تنطوي مثل هذه الأطروحات الخيالية على استسهال تداعيات وقائع الحرب الدائرة في السودان قبل أكثر من عام ونصف العام، وهي حرب تورّطتْ فيها أطراف سودانية تحارب بعضها بعضاً، كما استدعتْ تعقيداتها غرباء من وراء حدود السودان وصحاريه، كما جذبت طامعين آخرين، أبعد مسافة وأشدّ طمعاً وتطرّفاً. من تعقيدات تلك الحرب أنّ تلك الأطراف السودانية المتحاربة بجيشها ومليشياتها، راهنت على إسنادٍ خارجي يأتيها من مثل أولئك الطامعين، ممّن لا يهمّهم استقرار بلاد السودانيين، بل بقي أول نظرهم مصوّباً نحو تحقيق أجنداتهم، وكأنّهم يستدعون روح وأساليب الاستعمار الكولونيالي القديم. لقد استهدف الطامعون بلاداً كان الظنّ أنّ ما فوق أرضها وأنهارها، يمكّنها لتكون سلّة لغذاء الشرق الأوسط والقارّة الأفريقية، أو مِن ثراء مواردها تحت الأرض من ذهب ونفط ويورانيوم، ما قد يمكّنها من تمويل طفرتها الإنمائية، فترتقي إلى مصاف الأمم القيادية في القارّة.

(4)

لكنَّ حرب السودان لم تعرف نهاية، وعجز مقاتلوها المُرهقون عن إيقاف دمار بلادهم، كما أعجز التصعيد كلَّ الوسطاء عن إحداث أي اختراق يوقف تلك الحرب. ومن السخريات، فإنّ بعض أطرافها من يريدها حربَ داحِس والغبراء قبل الإسلام، لتمتدّ، إنْ شاء مشعلوها، مائة عام، فإنّهم لن يوقفوها حتّى يتحقّق النصر. فأي نصرٍ يلوح وكلُّ الأطراف تلعق هزيمتها النكراء؟

(سفير سوداني سابق)

نلهث وراء بايدن وهو يلهث وراء نتنياهو

محمود الريماوي

بعد مضي عام على حرب الإبادة المستمرة ضدّ قطاع غزّة وأهله، تجنح المواكبة السياسية العربية لها إلى مزيد من الضعف، فقد خفت الحديث عن مقترحات وقف إطلاق النار، وتكاد هذه المقترحات تتطاير أوراقاً في مهبّ الريح، وأجدّ تحرّك في هذا الشأن كان للوزير الأميركي أنتوني بلينكن نحو القاهرة (17 سبتمبر/ أيلول الماضي)، فدعا القيادة السياسية فيها إلى قبول الفِكَر الإسرائيلية بأن يكون الوجود الإسرائيلي في محور صلاح الدين (فيلادلفي) بأقلّ حجمٍ ممكن، وهو ما رفضته القاهرة متمسّكةً بانسحاب القوات الغازية من معبر رفح ومحور صلاح الدين في مرحلة أولى. وقد عاد بلينكن على أعقابه، مسجّلاً أنّ دوره في التوسط، نحو عام، هدف إلى تبديد الوقت، ومحاولة تمرير الشروط الإسرائيلية، والاستغراق في عملية وقف إطلاق النار، وليس فرضه.

بدلاً من الضغط على حكومة نتنياهو، عمدت إدارة جو بايدن في الشهرَين الأخيرَين لولايتها إلى منح ضوءٍ أخضرَ لتلّ أبيب لإطلاق حرب إضافية على لبنان وحزب الله. ويستغلّ البيت الأبيض هذا التطوّر الجديد لإلحاق الدمار بالبنية الاجتماعية والديمغرافية لحزب الله، بما يعنيه ذلك من حرب على مناطقَ واسعةٍ مكتظّة بالسكّان في الجنوب وفي العاصمة بيروت وفي منطقة البقاع شرقي البلاد. ولا يتوانى مسؤولون أميركيون عن القول إنّ مقترحهم بمشاركة فرنسا لوقف إطلاق النار بين الجانبَين قد سُحِب من التداول. ومعنى ذلك أنّه في ضوء تزايد حجم المخاطر بتوسّع الحرب، فإنّ واشنطن عِوضاً عن التشديد على وقف إطلاق النار، تسحب هذا الطلب عن الطاولة إكراماً لمجرم الحرب نتنياهو ووزرائه المتطرّفين، فيا له من منطق سياسي سديد! وخلال ذلك، تسمح إدامة الحرب على لبنان وتوسّعها، للسياسيين المتنفّذين في واشنطن، من ذوي النظر للأمور بعين واحدة، بصرف أنظار العالم عمّا يجري يومياً في غزّة من فصول دمويةٍ، وفصلها الأخير استهداف ما تبقّى من مستشفيات وتنفيذ خطّة الجنرالات بجعل شمال غزّة منطقةً عسكريةً مغلقة، مع دفع السكّان (400 ألف نسمة) للنزوح عنه، ومن يتبقّى فإنّه سوف يُحرَم من المساعدات الغذائية. وتهدف الخطّة إلى تثبيت احتلال تدريجي للقطاع يبدأ من الشمال، وتبشّير غلاة المستوطنين بأنّ إعادة الغزو الاستيطاني في غزّة لم يعد أمراً بعيد المنال. هذا هو مآل مقترحات بايدن لوقف إطلاق النار، من دون أن يشعر الرجل بالمساس بمكانته رئيساً للدولة العظمى، الدولة التي لا يعنيها مصير مقترحات رئيسها، وقد تعزّزت بصدور قرار دولي بهذا الشأن. وواقع الحال أنّ التخلّي الأميركي العملي عن جهود وقف إطلاق النار، يضع نهايةً لمساعي الوساطة بهذا الخصوص، وبعد أن أشاع الجانب الأميركي أنّه ماضٍ في وضع فِكَر للتجسير بين مطالب حركة حماس ومطالب إسرائيل، إلّا أنّ الهجوم الاسرائيلي على لبنان قد نحّى هذا الأمر جانباً، بل إنّ الجانب الأميركي، وقبل نحو شهر من انتهاء ولاية بايدن، قد وضع نهايةً لهذا الأمر من طرف واحد بمعزل عن الوسطاء العرب الذين نشطوا معه بصورة حثيثة في عشرة أشهر، لكنّ الطرف الأميركي تخلّى عنهم، بما يكشف مستويي «الجدّية» و«المصداقية» اللتين بلغتهما إدارة بايدن في التعامل مع ملفّ شديد الخطورة، كما في التعامل مع الأصدقاء والشركاء العرب، مع منح نتنياهو مزيداً من الفرص لمواصلة حربه الدموية على أبناء غزّة المنكوبين. فيما يجري، بثّ تسريبات إعلامية بأنّ مواصلة نتنياهو ارتكاب مجازره في غزّة، وإضافة لبنان (وسورية جزئياً) إلى مخطّط نشر الدمار، إنما يهدف إلى الضغط على يحيى السنوار للقبول بما يسمّى إسرائيلياً «صفقة الأسرى»، والصفقة هي مقترحات بايدن، يضاف إليها وجودٌ عسكريٌّ في محور صلاح الدين وفي معبر رفح، وتقييد تحرّكات الناس داخل القطاع. وهكذا من غزّة إلى لبنان، فإنّ اقتراف المجازر بدم باردٍ وبطريقة استعراضيةٍ، يُشكّل وسيلةَ ضغطٍ سياسيةٍ أو حتّى نشاطاً سياسياً، في نظر نتنياهو، وهو ما تمالئه فيه واشنطن بغير خجل، التي لا يعنيها سوى بقاء مطار بيروت مفتوحاً بعض الوقت لتمكين الرعايا الأميركيين والغربيين من المغادرة، مع غضّ الطرف عما يتعرّض له اللبنانيون والفلسطينيون، فأنظار بايدن تتجّه إلى استهداف إيران على نحو لا يفتح الباب أمام حرب شاملة قد تتدخّل فيها واشنطن، وقد يسقط فيها جنود أميركيون، وقد تتأثّر بذلك حظوظ كامالا هاريس في الفوز بانتخابات الرئاسة. أمّا الدمار والمذابح، من غزّة إلى الضفة الغربية، إلى لبنان وسورية، فهي مُجرَّد نتائج عرضية لحرب العالم الحرّ على الإرهاب. والآن، ثمّة حَراك داخل المؤسّسات الأمنية الإسرائيلية، وباتجاه نظيرتها الأميركية، يهدف إلى ربط وقف الحرب على لبنان بإنجاز صفقة الأسرى، وفق ما تحدّث به موقع والاه الإسرائيلي يوم الخميس الماضي، ويستبعد المرء أن يستجيب نتنياهو لهذا الطرح، إلّا إذا وافقت «حماس» على الصيغة الإسرائيلية للصفقة، وهو أمر مُستبعَد أيضاً.

> لن تنتهب ولاية بايدن بما يسرّه، لخضوعه لصهيونيته، بدلاً من الاحتكام إلى المصالح الأميركية ومصلحة إحلال الأمن في العالَم

في وسع الوسطاء العرب، قبل نفاد الوقت على ولاية بايدن وأركان إدارته، الخروج بتقييم نزيه لما آلت إليه جهودهم في عشرة أشهر، وإعادة التذكير بتنصّل نتنياهو من أيّ التزام تجاه هذه الجهود، والتذكير بأنّ الطرف الأميركي رغم انتقاداته لنتنياهو وتبرّمه من سلوكه الفجّ، قد تلكّأ لأسباب مختلفة وغير وجيهة عن توجيه ضغوط كافية على المعتدي الإسرائيلي، وهو ما شجّع نتنياهو على المماطلة والمراوغة، وأسوأ من ذلك أنّه شجّعه على ارتكاب مزيد من الفظائع. ذلك أنّه، وسط هذا الجمود الدموي، تزداد الحاجة لكسر هذه الموجة المقيتة من إرهاب الدولة، ولو ببيان سياسي يسمّي الأشياء بأسمائها، ويشدّد على أنّ وقف الحرب على غزّة يفتح الباب لوقف الحرب على لبنان، ويُبعد شبح حرب شاملة.

لقد بدأ الجموح الحربي المُقترن بالتطهير العرقي مع غزّة، وضدّ كلّ مَنْ فيها، وما زال هذا الهوس المحموم على حاله، غير أنّ الأحاديث العلنية، وتلك التي في الكواليس، تدور هذه الأيام بشأن مخاطرَ داهمةٍ لحرب إيرانية إسرائيلية قد تُلحق السوء بدول خليجية وبمصادر الطاقة، وقد تفتح الأبواب لسلسلة من المواجهات لا أحد يعلم إلى أين وكيف تنتهي. وبهذا، فإنّ إدارة بايدن لا تجد ما تفعله سوى اللهاث وراء مغامرات نتنياهو، من غزّة إلى الضفّة الغربية، إلى لبنان، إلى سورية والعراق، وصولاً إلى إيران، فيما نحن نلهث وراء بايدن. والراجح أنّ الأسابيع المتبقّية له في البيت الأبيض لن تسعفه في اختتام ولايته بما يسرّه، وذلك نتيجة خضوعه لنازعه الأيديولوجي (صهيونيته)، بدلاً من الاحتكام إلى المصالح الأميركية ومصلحة إحلال الأمن في العالم وفي منطقتنا، علماً أنّ الشروع في إطفاء حريق غزّة من شأنه تبريد الأجواء الإقليمية هنا وهناك، غير أنّ الوقت ينفد أمام الرئيس ونائبته.

(كاتب من الأردن)

كاريكاتير كارتون موفمنت

(ماركو دي انجلس، كارتون موفمنت)

خواطر عن مستقبل العالم العربي في ذكرى أكتوبَرين

حسن نافعة

هلّت علينا قبل أيام الذكرى السنوية لمناسبتَين يفصل بينهما نصف قرن: حرب على الكيان الصهيوني شنّها الجيشان المصري والسوري بالتزامن في السادس من أكتوبر/ تشرين الأول 1973، وعملية مقاومة مسلّحة شنّتها حركة حماس في السابع من أكتوبر 2023 عبر الحدود التي تفصل بين قطاع غزّة والأراضي المحتلّة عام 1948. هذان الحدثان لحظة وقوعهما مفاجأتان من العيار الثقيل، لكن تأثيراتهما اللاحقة في مجمل الأوضاع المحلّية والإقليمية والدولية القائمة أدّت إلى تغييرات عميقة على صعيد المنطقة والعالم.

قبل ثلاث سنوات من اندلاع حرب 1973، رحل الرئيس جمال عبد الناصر، وحلت في رئاسة الدولة المصرية شخصيةٌ لم يأخذها أحدٌ على محمل الجدّ حين شرعت في مهامّها، أنور السادات، الذي تمكّن من أخذ المنطقة إلى وجهةٍ معاكسةٍ تماماً لوجهة سلفه. ولأنّ حرب الاستنزاف التي أشعلها عبد الناصر كانت قد توقّفت مؤقّتاً بسبب قبوله مبادرة روجرز، قبل رحيله بأشهر، فقد أصبح السادات في وضع يسمح له بهامش لا بأس به من الحركة، من دون أن يُتَّهم بالخروج على الخطّ الذي رسمه الزعيم الراحل. وعندما تبيّن له أنّه غير قادر لا على التوصّل إلى تسوية سلمية للصراع، رغم ما أظهره من استعداد لتقديم تنازلات جوهرية، ولا على استئناف حرب الاستنزاف، رغم تحفّز الجيش المصري، الذي أعيد بناؤه على أسس جديدة عقب هزيمة 1967 لخوض معركة التحرير، فقد وجد السادات نفسه مضطراً لاتخاذ قرار الحرب بالتنسيق مع الرئيس السوري حافظ الأسد. ولأنّ وقع المفاجأة كان كبيراً عليه، بسبب نجاح خطّة الخداع التي أُعدّت لتضليله، كاد الكيان الصهيوني أن يُمنى بهزيمةٍ ساحقةٍ لولا مسارعة الولايات المتّحدة لإنقاذه، ومدّه بالوسائل كلّها، التي أدّت إلى ترجيح كفّته إبّان الأيام الأخيرة للحرب. ومع ذلك، كان ما حقّقته الجيوش العربية من انتصار في المرحلة الأولى كافياً، ليس لغسل عار هزيمة 1967 فحسب، وإنّما لتمكين العالم العربي من التمتّع بمكانة دولية مختلفة تماماً عن تلك التي كان عليها.

لم يكن الانتصار في حرب 1973 من صنع الجيشَين السوري والمصري وحدهما، فقد ساهمت فيه جيوشٌ عربيةٌ أخرى، شاركت في القتال بوحداتٍ عسكريةٍ ولو رمزية أحياناً، ودول عربية قرّرت استخدام النفط سلاحاً في المعركة، وفرضتْ حظراً فعلياً على تصديره إلى الدول المنحازة لإسرائيل. ولأنّ الشعوب العربية التفّت حول قياداتها المنخرطة في المعركة، عاش العالم العربي لحظةً تاريخيةً فريدةً، بدا فيها موحَّداً على نحو لم يسبق له مثيل. لذا يمكن القول إنّه انتصار من صنع النظام العربي بشقّيه الرسمي والشعبي، ما يُفسّر شيوع تقديرات تنبّأت في ذلك الوقت بقرب تحوّل العالم العربي قوّةً عالمية مؤثّرة في المسرح الدولي، بل قادرةً على قيادة العالم الثالث. لم تصدُق هذه التنبّؤات للأسف، بسبب ما كشفته مراحلُ لاحقةٌ ممّا كان يدور في عقل السادات في ذلك الوقت. ومع ذلك، كان مُجرَّد التعبير عنها كاشفاً حجم ما أتيح للعالم العربي من فرصة فشل في انتهازها. إذ سرعان ما تبيّن أنّ الرئيس السادات أراد لحرب 1973 أن تكون «حرب تحريك لا تحرير»، وأن تكون في الوقت نفسه «آخر الحروب»، ما يُفسّر زيارته القدس لاحقاً، ثمّ إبرام معاهدة سلام مصرية إسرائيلية في مارس/ آذار 1979، ما أدّى إلى إخراج مصر نهائياً من المعادلة العسكرية للصراع مع المشروع الصهيوني، وتسبّب، بشكل مباشر أو غير مباشر، في سلسلة كوارثَ ألمّت بالنظام العربي، وعجّلت بتفككه وانهياره، بدءاً بالحرب العراقية الإيرانية، التي استمرت نحو ثماني سنوات، وانتهاء بتوقيع عدة دول عربية اتفاقات تطبيع مع إسرائيل، من دون اشتراط قيام دولة فلسطينية أولاً، ما مهّد الطريقَ في نهاية المطاف أمام ما يجري حولنا اليوم.

قبل أيام معدودة من انفجار «طوفان الأقصى»، وتحديداً في 22 سبتمبر/ أيلول 2023، ألقى نتنياهو خطاباً أمام الجمعية العامة للأمم المتّحدة، بينما كان ممسكاً بخريطة تُظهِر الضفّة الغربية وقطاع غزّة ضمن الحدود السيادية للكيان الصهيوني، ما أكّد بوضوح قاطع أنّ حكومته الجديدة، الأكثر تطرّفاً في تاريخ إسرائيل، التي يتحكّم فيها تيّار ديني مُفرط في عنصريته، لديها خطط عملية لتصفية القضية الفلسطينية نهائياً، وقطع الطريق على قيام دولة فلسطينية مستقلّة في المستقبل. ولأنّ تطبيع العلاقات مع العالم العربي كان يسير رغم ذلك على قدم وساق، خصوصاً في ظلّ اتفاقات إبراهيمية أُبرمت تحت رعاية أميركية منفردة، وكانت مساعي إدارة بايدن الرامية لتوسيع نطاقها وضمّ السعودية إلى ركبها تبدو على وشك النجاح، فقد تصوّر نتنياهو أنّ الطريق بات ممهَّداً أمامه، ليس لتصفية القضية الفلسطينية فحسب، وإنما أيضاً لإحكام هيمنته على منطقة الشرق الأوسط برمّتها. وفي سياق كهذا، لم يكن أمام فصائل الحركة الوطنيّة الفلسطينية المعنية بمقاومة الاحتلال والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني سوى البحث عن وسائلَ مبتكرةٍ لإعادة وضع القضية الفلسطينية في جدول أعمال النظامين العربي والدولي، فكان «طوفان الأقصى». لا أظنّ أنّ أحداً من القادة الفلسطينيين، مهما شطح به الخيال، تصوَّر أنّ بمقدور حركة مقاومة محدودة الإمكانات، مثل حركة حماس، إلحاق هزيمة عسكرية بآلة الحرب الإسرائيلية الجهنمية، خصوصاً إذا كان عليها أن تنطلق من إقليم محاصر بحراً وبرّاً وجوّاً. لذا يفترض منطقياً أن يكون أقصى ما استهدفه قادة هذه الحركة، حين كانوا يخطّطون للعملية الجريئة التي أطلقوا عليها لاحقاً اسم «طوفان الأقصى»، هو أسر ما يكفي من الجنود والمستوطنين الإسرائيليين لمبادلتهم بأكبر عدد ممكن من الأسرى الفلسطينيين المعتقلين في السجون الإسرائيلية. يشير المسار الذي سلكته الجولة الحالية من الصراع المسلّح مع الكيان الصهيوني إلى حرص النظام الرسمي العربي على تجنب الانخراط فيها على أيّ نحو، تحت ذريعة أنّها تدور مع «أذرع إيران في المنطقة»، وأنّ «حماس»، أحد هذه الأذرع، بادرت باستخدام العنف. ولأنّ لمعظم الأنظمة الحاكمة في العالم العربي خلافاتٍ حادّةً مع تيّار الإسلام السياسي بصفة عامّة، ومع فصائله الشيعية بصفة خاصّة، فمن الواضح أنّ الكيان الصهيوني نجح في إقناعها بوجود مصلحةٍ مشتركةٍ تقضي ليس بالعمل لإضعاف هذه الأذرع فحسب، وإنّما لمحاولة استئصالها من جذورها أيضاً، ما يُفسِّر إحجام هذه الأنظمة عن ممارسة ضغوط حقيقية لوقف الحرب، رغم ما يرتكبه الكيان من جرائم بشعة تشكّل انتهاكاتٍ غير مسبوقةٍ للقانون الدولي. قد يصعب التكهّن بالنتائج التي قد تنتهي إليها جولة الصراع الحالية، لكن هي المرة الأولى التي يقف فيها النظام الرسمي العربي متفرّجاً على أعمال إبادة جماعية يقوم بها الكيان العنصري ضدّ الشعب الفلسطيني، وعلى عملية تدمير تامٍّ وممنهج ليس لقطاع غزّة فحسب، وإنّما للجنوبَ اللبناني أيضاً. صحيح أنّ بعض الأنظمة العربية تأمل بأن تنتهي هذه الجولة باختفاء الفصائل التي تنتمي لتيّار الإسلام الجهادي كلّها، وربّما بسقوط النظام الإيراني نفسه، لكنّ ذلك لن يحدث على الأرجح لسببَين رئيسَين. الأول لأنّ التيّارات العقائدية المعنية بالدفاع عن قضايا عادلة لا تختفي، حتّى ولو هزمت عسكرياً في الميدان، وإنّما ستعود إلى الظهور، ربّما بطريقة أقوى، وباستخدام وسائل أكثر عنفاً، طالما ظلّت القضايا التي تدافع عنها حيّة وبلا حلول تنطوي على الحدّ الأدنى من العدالة، خصوصاً أنّ الواقع الراهن يشير إلى أنّ الفصائل التي تنتمي إلى هذه التيّارات ما زالت صامدةً في الميدان رغم مرور أكثر من عام على اندلاع القتال. السبب الثاني أنّ دخول إيران خطّ المواجهة العسكرية المباشرة مع الكيان يعطيها الحقّ في الظهور بمظهر المدافع الأول عن القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني. ولأنّ إيران دولةٌ راسخةٌ في المنطقة وأكثر تقدّماً من الدول العربية على الصعيدَين العلمي والتكنولوجي، وربّما تكون في طريقها لكي تصبح دولة نووية، يرجح أنّ يكون النظام الرسمي العربي هو الخاسر الأكبر في هذه الجولة، وأن يخرج منها في حالة من الضعف تجبره على الاختيار بين الانحياز إلى إيران أو إلى الكيان الصهيوني في المواجهة التي يتوقّع أن تطول بينهما.

> التيّارات العقائدية المعنية بالدفاع عن قضايا عادلة لا تختفي، حتّى ولو هزمت عسكرياً في الميدان، طالما ظلّت القضايا التي تدافع عنها حيّةً

(أكاديمي مصري)

الصين وروسيا وكوريا الشمالية وإيران

سامر خير أحمد

انتقل القلق الأميركي من تشكّل محور يجمع الصين وروسيا وكوريا الشماليةَ وإيران من الباحثين والمحلّلين إلى تصريحات السياسيين، لكن مدى جدّية الولايات المتّحدة في الاعتقاد بوجود مثل هذا المحور (غير المُعلَن عنه من الدول المتّهمة بإقامته) يمكن أن يتبدّى عبر تمحيص القواعد التي يدّعي الأميركيون أنّ المحور المفترض يقوم عليها.

نقلت وكالة بلومبيرغ، في أواخر الشهر الفائت (سبتمبر/ أيلول)، في تقرير لها عن مسؤولين أميركيين لم تذكر أسماءهم، أنّ لدى الولايات المتّحدة وحلفائها شعوراً متزايداً بالقلق حيال السرعة والكثافة اللتين تعمل بهما روسيا والصين وإيران وكوريا الشمالية لتعميق علاقاتها لتحدّي الهيمنة الأميركية، رغم أنّهم (كما تقول الوكالة) «واجهوا أقوى العقوبات التي فرضها الغرب على الإطلاق». جاء ذلك عقب شهور من مقال شهير نشرته مجلة فورين أفيرز الأميركية، حذّر من المحور الرباعي الذي يتعمّق بسرعة منذ عام 2022، معتبراً أنّ التعاون المُعلَن بين أطرافه ليس سوى قمّة جبل الجليد من التقارب المُتسارع، على حدّ وصف كاتبيه؛ مديرة برنامج الأمن عبر الأطلسي في مركز الأمن الأميركي الجديد أندريا تايلور، والرئيس التنفيذي في المركز ريتشارد فونتين.

المسألة الأساسية التي تُجمِع عليها الأصواتُ الأميركية والغربية المُحذِّرةُ من تقارب تلك الدول الأربع، أنّها تبني محوراً يسعى لتقويض النظام العالمي أحادي القطبية القائم منذ نهاية الحرب الباردة، لصالح بناء نظام دولي جديد متعدّد الأقطاب، وتلك قضية متّفقٌ عليها فعلاً في خطاب الدول الأربع، التي يتحدّث قادتها ومسؤولوها من دون انقطاعٍ، وبلهجةٍ تتباين حدّتها من دولة إلى أخرى، عن انقضاء عصر الهيمنة الأميركية أحادية القطبية. لكن ما هو غير مُؤكّد أنّ توافقَ تلك الدول على انتهاء صلاحية النظام العالمي الحالي يعني بالضرورة أنّها تُشكّل محوراً، تصفه تصريحات أميركية وغربية بأنّه «محور جديد للشرّ».

والواقع أنّ ذلك الخطاب الغربي الجازم، القائم على ثنائية «نحن وهم»، إنّما يتغافل عن حجم التباينات الهائلة في تطلّعات تلك الدول الأربع، وفي علاقاتها الدولية وسلوكها وأدواتها، مكتفياً بتوجيه الأنظار إلى الدعم العسكري والتقني الذي تقدّمه إلى روسيا في حربها ضدّ أوكرانيا، ومن ذلك القول إنّ روسيا استخدمت منذ غزوها أوكرانيا أكثر من 3700 طائرة إيرانية مُسيَّرةٍ، وهي تتعاون مع طهران حالياً لبناء مصنع جديد لهذه الطائرات داخل روسيا، وأنّ كوريا الشمالية أرسلت إلى موسكو، منذ بدء الحرب، صواريخ باليستيةٍ، وأكثر من 2,5 مليون طلقة ذخيرة. بينما أصبحت الصين بمثابة شريان الحياة لنظام فلاديمير بوتين، عبر تكثيف مشترياتها من النفط والغاز من موسكو، ما أدّى إلى ضخّ مليارات الدولارات في خزائنها، فضلاً عن قيام الصين بتوفير كمّيات كبيرة من تكنولوجيا الحرب لحليفتها المُفترضة، كأشباه الموصلات والأجهزة الإلكترونية ومعدّات الرادار والتشويش على الاتصالات وأجزاء الطائرات المقاتلة النفّاثة.

وهكذا يغيب عن ذلك الخطاب تقاطع مصالح الصين مع مصالح دولٍ أوروبيةٍ رئيسةٍ، خصوصاً فرنسا وألمانيا، ما يملي عليها عدم الانخراط في أحلافٍ دوليةٍ تتصادم مع الغرب بشكل صريح، على غير موقف روسيا وكوريا الشمالية. ومن الواضح أنّ ذلك الخطاب الغربي لا يُلقي بالاً للتصريحات الرسمية الصينية كلّها، التي تُؤكّد أنّ ليس في جدول أعمالها العودة إلى سياسة المحاور التي عرفها العالم خلال الحرب الباردة، وأنّ أداتها لتحويل النظام العالمي نحو تعدّد القطبية تتمثّل في الاقتصاد، عبر مبادرة الحزام والطريق وقيادة ما تسميه الصين «الجنوب العالمي». وبينما يبدو التعاون العسكري بين موسكو وبيونغ يانغ جليّاً في نوعية الزيارات التي يتبادلها الجانبان، وتصريحاتهما المشتركة، فإنّ الصين لا تتحدّث عن دعم روسيا في مواجهة أوكرانيا، بل عن إنهاء الحرب بينهما، ولا تحصر علاقاتها مع تلك الدول في الجانب العسكري، بل الأرجح أنّها تستغلّ الضغوطات التي تتعرّض لها تلك الدول من أجل زيادة مكاسبها الاقتصادية، وهذا تفسير أكثر موضوعية لحصولها على الغاز الروسي بأسعار تفضيلية من القول بأنّها تُشكّل مع روسيا محوراً للشرّ. وهكذا الحال في شأن حصول الصين على النفط الإيراني، في الوقت الذي لا تبدو فيه بكّين جادّةً في الانخراط في صراع الشرق الأوسط لدعم حليفتها المُفترَضة طهران، وشركائها في «محور المقاومة»، وتكتفي بالعبارات الدبلوماسية الجاهزة عن الشعور بالقلق والحرص على سلامة المدنيين وإحلال السلام.

> يغيب عن الخطاب الغربي تقاطع مصالح الصين مع مصالح دولٍ أوروبيةٍ

(كاتب من الأردن)

سورية في قلب الحرب

بشير البكر

ليست سورية بعيدةً عن حرب إسرائيل على لبنان، بل هي في قلبها، وكلّ من يحاول أن يرى المسألةَ من زاويةٍ أخرى يشيح بصره عن حقيقة ما يجري، ولا يريد أن يفكّر بالتداعيات وهي تتوالى بإيقاع سريع يسبق الحسابات كلّها. وكلّما تقدمت النيرانُ الإسرائيلية خطوةً باتجاه لبنان اقتربت أكثر من سورية، وهذا بات ملحوظاً من تصعيد العمليات العسكرية الإسرائيلية، وتكثيفها داخل الأراضي السورية، في إطار استهداف قيادات من حزب الله والحرس الثوري الإيراني ومخازن الأسلحة والمنشآت العسكرية كالمطارات، بما فيها التي تسيطر عليها القوات الروسية، على غرار القصف الذي تعرّض له محيط قاعدة حميميم الروسية (3 أكتوبر/ تشرين الأول الجاري)، ولم تستثنِ إسرائيل حتّى المعابرَ المدنية مع لبنان، بعد أن نزح نحو سورية قرابةُ ثلاثمائة ألف لبناني، ومثلهم من اللاجئين والعمالة السورية.

نجحت إسرائيل بفصل النظام السوري، عسكرياً وسياسياً، عن جبهتَي غزّة ولبنان. ومن المُستبعَد في المدى القريب أن يُغيّر النظام هذا السلوك، وسيستمر في عدم إبداء ردَّة فعل تجاه هجمات إسرائيل داخل مناطق سيطرته، وسيواصل العمل بسياسة النأي بالنفس، وذلك لأنّه ضعيف عسكرياً ويعمل بتوجيه روسيا التي فرضت عليه الابتعاد عما يُسمَّى «محور المقاومة». وفي حساب موسكو أنّ عدم التزام رئيس النظام بشّار الأسد جانب الحياد يعرّضه لردّ فعل إسرائيلي عنيف، يصل حتّى استهدافه شخصياً، وقد يُؤدّي ذلك إلى حدوث مواجهة روسية إسرائيلية في سورية، وهذا ما لا ترغبه روسيا المشغولة بالحرب على أوكرانيا. ومن ناحية أخرى، يبدو أنّ النظام احترم تعهّداته بالابتعاد عن إيران، من أجل التطبيع العربي، وعودة العلاقات الدبلوماسية معه، وتعويمه دولياً. وعلى هذا، من غير المُستبعَد أن يلعب دوراً ضمن هذه المساحة، في حال حصول توافق أميركي روسي على ذلك، وهذا أمر غير مشروط ببقاء رئيس النظام بشّار الأسد من عدمه. ومن الواضح أنّ النظام ينتظر مكافأةً بسبب التزامه الحياد تقدّمها واشنطن وأطرافٌ إقليميةٌ بتأييد إسرائيل وروسيا، بتخفيف العقوبات الدولية المفروضة عليه.

ثمّة احتمال ألّا تجري الرياح وفق الحسابات المنظورة، وربّما اختلطت الأوراق على نحو لا يتوقّعه أحدٌ، خاصّةً أنّ الوقت لن يتأخّر حتّى تنتقل حرب إسرائيل من القصف من بُعد إلى عمليات داخل سورية، على غرار عملية مصياف في الشهر الماضي (سبتمبر/ أيلول)، بالنظر إلى أسباب عدّة أهمها وجود البنية العسكرية لحزب الله، التي هي جزء من الوجود العسكري الإيراني داخل سورية، والمنتشر في الشرق في محيط محافظة دير الزور عند الحدود السورية العراقية، وفي الجنوب في محافظات درعا والسويداء والقنيطرة، وفي محافظات حلب، وحمص، ودمشق، وهو يُشكّل جبهةَ إسنادٍ فعليةٍ لجبهة لبنان، بالاعتماد على عشرات آلاف المقاتلين من المليشيات السورية والعراقية والباكستانية والأفغانية، التي تتبع الحرس الثوري الإيراني، وسبق لها أن قاتلت من أجل حماية النظام السوري، وارتكب بعضها مجازرَ تطهير عرقي وعمليات تهجير في محافظات سورية، ولا تزال تحتّل أراضيَ سورية بعد أن هجّرت أهلها، وقد تُشكّل الحرب الإسرائيلية عليها فرصة لتحرّك فصائل المعارضة السورية المسلّحة في ريف إدلب، بهدف فتح معركةٍ لطرد هذه المليشيات.

لا تقلّ أهمّية جبهة سورية عن نظيرتها اللبنانية، لأنّها الخزان الاحتياطي للمقاتلين والأسلحة، عبر خطّ إمدادٍ من العراق إلى لبنان، وتُشكّل في المدى المتوسّط الأرض المناسبة لحرب استنزاف طويلة الأمد للوجود العسكري الإسرائيلي في لبنان، ويبدو ماثلاً على نحو صارخ درس الاحتلال الأميركي للعراق عام 2003، عندما تدفّق عشرات آلاف المقاتلين من سورية إلى العراق لمقاتلة الجيش الأميركي.

الأنماط الإسرائيلية وبيروت

بيار عقيقي

ما أثبته العدوان الإسرائيلي الواسع على لبنان، منذ 23 الشهر الماضي (سبتمبر/ أيلول)، أنه لم يعد يمكن التنبؤ بسلوكات الاحتلال، ولا بأنماط حراكه العسكري والسياسي. قد يكون ذلك ناجماً عن انبثاق مرحلة أخرى بعد السابع من أكتوبر (2023). قبل ذلك التاريخ، وعلى الصعيد اللبناني، كان معلوماً أنّه حين يهدّد الإسرائيلي بالويل والثبور في لبنان، يعني أنّ الوضع بخير، وأنّ لا حرب في الأفق، بينما في حال لاذ الاحتلال بالصمت فترةً طويلةً، فإنّ المخاوف من أيّ عدوان تُصبح واردة. قبل السابع من أكتوبر، كانت العلاقة بين الاحتلال ولبنان محكومة بعاملين. العامل الأول هو طغيان شبه اقتناع لدى الطرفَين، أنّ عدوان 2006 «قد يكون الأخير» بين حزب الله وإسرائيل، مُعزَّزاً باتفاق ترسيم الحدود البحرية بين بيروت وتلّ أبيب في أكتوبر/ تشرين الأول 2022، بموافقة حزب الله. أمّا العامل الثاني، فكانت الرغبة الأميركية في إرساء استقرار بين الطرفَين، بلغ حدّ التفكير في العودة إلى العمل باتفاقية الهدنة الموقّعة في عام 1949. أصلاً هذا ما ورد أيضاً في بنود اتفاقية الترسيم البحرية. في تاريخ الاعتداءات الإسرائيلية قبل السابع من أكتوبر على لبنان، كان الزحف السريع في اجتياحي 1978 و1982، والحروب الخاطفة والمدمّرة في اعتداءات 1993 و1996 و2006، نموذجاً لعدم رغبة إسرائيل في خوض معارك استنزافية طويلة الأمد. بعد السابع من أكتوبر تبدّل هذا المفهوم. بات العامل الاستخباراتي أكثر انخراطاً، مثلما كشفت تفجيرات أجهزة الاتصال في 17 و18 سبتمبر الماضيَين، والاغتيالات المتلاحقة لقياديين من الحزب، وذلك في وقتٍ بدأت إسرائيل توغّلاً برّياً، وصفته بـ«المحدود» في 1 أكتوبر الحالي في لبنان، حيث ما زالت تخوض معارك مع حزب الله في المواقع الأمامية في القطاعات الشرقية والوسطى والغربية، في مقابل استمرارها في شنّ غاراتٍ جويةٍ مكثّفةٍ في الجنوب والبقاع والضاحية الجنوبية لبيروت.

في تلك المحطة من الاعتداءات، لم يعد صحيحاً الاعتماد على كلام كاتب إسرائيلي أو رأي إعلام إسرائيلي، أو حتّى مواقفَ عسكريةٍ وسياسيةٍ للاحتلال. ما نراه اليوم أخبار من نوع معيّن، قد نفاجأ بتبدلّه في اليوم التالي، من دون فهم ذلك ولا كيفية حصوله. يعود السبب إلى أنّ الإسرائيليين ليسوا مُربَكين في كثير من الأحيان، بل إنهم يروّجون عمداً الأخبار المتناقضة، نمطاً مدروساً للبقاء متقدّمين. مثال على ذلك، أوحى الإسرائيليون عبر سياسييهم وإعلامهم أنّهم لن يهاجموا لبنان، وأنّ اتفاق غزّة، بحكم ربط حزب الله جبهة لبنان بجبهة غزّة، سيُبصر النور في وقتٍ ما، وأنّ حرب الإسناد اللبنانية ستبقى في إطار قواعد الاشتباك المعمول بها منذ عام 2006. في المقابل، كانت الأجواء اللبنانية عبارةً عن أنّ «حرباً شاملة لن تقع»، وعدّد أصحاب هذه العبارة أسباباً لذلك، استناداً إلى ما ورد على ألسنة السياسيين والعسكريين الإسرائيليين ووسائل إعلام الاحتلال.

ما الذي حصل؟ ... غيّر الإسرائيليون نمطهم وهاجموا لبنان بأكبر قوة نارية ممكنة يتلقّاها هذا البلد في التاريخ. وليس هذا فحسب، بل حتّى قرروا خوض حرب استنزاف طويلة الأمد، وفق ما أظهر سلوكهم السياسي والعسكري. أكثر من ذلك، ما زالوا يوجّهون الرسائلَ المتناقضةَ في عدوانهم على لبنان، وهو ما يستوجب الانتباه ملياً إليه، إذ إنّ من أقدم على مهاجمة لبنان بهذه الكثافة بعد أشهر من مواجهات محدّدة، لن يتردَّد في محاولة اجتياح العاصمة بيروت مُجدَّداً. وفي أيّ تكتيك أو حساب عسكري، يجب وضع هذا الاحتمال أولويةً مطلقة. يكفي قصف جنود الاحتلال مواقع قوة الأمم المتّحدة المؤقّتة في لبنان (يونيفيل) أخيراً، بغية إبعاد عناصرها من الحدود أولاً، ولاحقاً إلى بيروت. التفكير خارج هذا الإطار، والاعتقاد أنّ إسرائيل ستتوقّف في لحظة ما، أشبه بوهم خريفي. الحسابات الإسرائيلية تبدأ من بيروت لا قبلها. وهو ما على اللبنانيين إدراكه، لا غيرهم.

من غزّة إلى لبنان... تكنيك إرباك الذاكرة البصرية

ليلى الشايب

لم تترك إسرائيل حربها الوحشية على غزّة تبلغ عاماً بالتمام والكمال، فتشكّل ذكرى واضحةَ المعالم يحييها ما يلزم من المظاهرات، والبيانات، والبرامج التلفزيونية المعتادة في مثل هذه المناسبات الأليمة. حتّى هذا استكثرته إسرائيل على غزّة وأهلها في محاولة لبطويهما النسيان، فإذا بها تفتح جبهةً أخرى في جنوب لبنان، ظنّ كثيرون أنّها لن تحدث، وأنّها ستبقى علكةً يلوكها بنيامين نتنياهو للتخويف والتهديد لا أكثر، أو قد تتأخّر ونيران غزّة ملتهبة. لكنّ إسرائيل فعلتها، والمنطقة تترنّح تحت مفعول هول المشاهد القادمة من غزّة، وإسرائيل نفسها تترنّح، وهي أشبه بشخص في أشدّ حالات السُكْر والثمالة، يمسك سكّيناً حادّةً يطعن بها كلّ من يعترض سبيله، ولا يمنح الشهود على جرائمه وقتاً لإسعاف من طعنه أولاً، أو البكاء عليه. وفي كلّ يوم يمضي تتراجع الشكوك في نيّات نتنياهو الذي يتصدّر مشهد الحرب بأنّه فقط يمارس الترهيب النفسي للمنطقة بقوله المُتكرّر: «سننتقل بعملياتنا وضرباتنا إلى كلّ مكان يُشكّل مصدراً لتهديد سكّان إسرائيل»، فقد بدا فتحُ جبهة أخرى على حدود إسرائيل ضرباً من الفنتازيا، لن تتحمّلها إسرائيل الواقعةُ تحت سهام أعين العالم، الذي انقلب شعبياً ضدّها في قارّاته الخمس. لكنّ حكومة الحرب فعلتها، وباستعراض أريد منه إحداثَ صدمةٍ نفسيةٍ لدى المتشكّكين خصوصاً، والمتردّدين في دعمها بدرجة ثانية، ثمّ سارع نتنياهو إلى إعلان نيّته «تغيير معالم الشرق الأوسط» برمّته، وهو لا يبالغ ولا يُهدّد بإعلان هدفه الأخير.

اليوم، وبعد عام من حرب غزّة الموغلة في الدموية والتوحّش، يتأكّد أنّ «تغيير معالم المكان» يمثّل لدى نتنياهو هوساً واستراتيجيةً وأداةً وهدفاً، في آن معاً. طبّقها في غزّة، ولم يشفِ غليله تماماً بعد، ويطبّقها الآن في جنوب لبنان وفي الضاحية الجنوبية لبيروت، وحيثما يوجد حزب الله، سواء كان وجوداً مادّياً ملموساً أو وجوداً رمزياً. قد لا يبدو ذلك جليّاً للمتابع حالياً، ولكنّها خطّته التي يمضي فيها بإصرار، ويشتّت الانتباه عنها بين الحين والآخر، بالعودة إلى غزّة وقصف ما بقي شبه قائم فيها، أو إلى الضفّة الغربية ومُخيَّماتها البائسة. في الحقيقة، يرتبط لدى رئيس حكومة الحرب الإسرائيلية هدف القضاء على المقاومة مُجسَّدةً بشكل رئيس في حركة حماس، بالقضاء على المكان الذي تمارس فيها مقاومتها، وبالقضاء على الحاضنة الاجتماعية والبيئة التي ينتمي إليها عناصرها، البيئة التي يخرجون منها لتنفيذ عملياتهم ويعودون إلى حضنها ليذوبوا فيها، ويصبح كلٌّ منهم ابناً أو أخا أو أباً في كلّ أسرة غزّية، وهو أمر مثير للجنون عند مهندسي الحرب المُعلَنة عليهم وعلى منفّذيها. لذلك، وبعد فشل مرحلة الاصطياد الفردي لعناصر المقاومة، وبعدما تأكّدت بشكل قاطع استحالةُ القضاء على «حماس» والمقاومة فكرةً ومنهجاً وأيديولوجيا، عمد نتنياهو إلى إنزال عقاب شديدٍ يوازي شدّةَ غضبه ويأسه أمام مقاومةٍ مُتجذّرةٍ تكاد تصبح جيناً من الجينات المتوارثة لدى سكّان غزّة. عمد إلى محاولة محو الذاكرة البصرية المتعلّقة بالمكان، وإلى طمس أيّ أثر يشير إلى أنّ المقاومة حيّةٌ ترزق، يمكن الاستدلال على وجودها من خلال مؤسّساتها ومقارّها وشخوصها، بوجوههم وأسمائهم. لذلك، اكتشف العالم مثلاً أنّ عائلات بأكملها أبيدت واختفت من الوجود، وبالتي من السجلّات المدنية، أمّا من بقي حيّاً، فسيقضي بقيّة حياته بعاهة ستذكّره باستمرار بأنّها عِقابٌ على الانتماء إلى بيئة مقاومة هي الأشدّ بأساً والأطول نفساً. لم يستنبط نتنياهو أداةً جديدةً بشعةً ومتوحّشةً في الحروب، إذ توجد سوابق لاستخدامها في التاريخ القديم والحديث، سواء كان الخصم المراد محوه كياناً ذا وجود مادّي أو حدثاً فاصلاً في تاريخ بلد وشعب. فرأينا في أكثر من عاصمة ومدينة، ساحاتٍ تعرّضت معالمها للتغيير بشكل يُحدِث صدمةً للبصر والذاكرة وللعلاقة بينهما، وهو الهدف المنشود من هذا التكتيك. وهذا ما تنشده حكومة التطرّف الإسرائيلية، التي برهنت أنّها تستلهم من أحداث التاريخ أقساه وأبشعه، وتضيف إليه ما يتيحه لها العصر بأدواته المتطوّرة تكنولوجياً وإعلامياً. يكاد وصف القصف والاستهداف بـ«العشوائي»، وتقييم ما شهدته غزّة (ولا تزال) بأنّه «فشل في تحقيق الأهداف»، أن يكونا قاصرَين، من منظور بعيد المدى ودقيق، يضع غزّة ساحةَ معركةٍ في خانة خاصّة جدّاً تختلف عن ساحات الحروب الأخرى في جغرافيّتها ونسيجها الاجتماعي والفكري، ومكانتها المتقدّمة في خريطة أذرع المقاومة في المنطقة، بما يعني أنّ القضاء عليها وتحويلها أكواماً من الركام يجعل وجود بقية الأذرع بلا معنى، و بلا مبرّر تقريباً في ذهن واضع استراتيجية الحرب الإسرائيلية. لذلك، ينظر إلى مُجرَّد التدمير ومراكمته تحقيقاً للهدف، مع ما رافق هذا المشهد الدامي من تقديرات لإمكانية الحياة في غزّة مستقبلاً أو لعدد السنوات التي ستتطلّبها إعادة الإعمار فيها، وللمبالغ المكّوكية التي ستحتاجها، وللأطراف التي ستجرؤ على الإقدام عليها.

> بعد عام من حرب غزّة يتأكّد أنّ «تغيير معالم المكان» يمثّل لدى نتنياهو هوساً واستراتيجيةً وأداةً وهدفاً، في آن معاً

> يحتاج نتنياهو أن يفهم أنّ الذاكرة تعيد ترميم ذاتها فتصبح أقوى كلّما انتُزِع بالقوّة والعنف ما انطبع فيها

وبناء على نموذج غزّة المدمّرة، وفكرة استئصال المقاومة من جذورها أينما كانت، تمرّ حكومة الحرب الإسرائيلية إلى الهدف الموالي في لبنان، و لولا المسافة والجغرافيا المختلفة، والاستعداد للتصدّي الذي أظهره حزب الله، لرأينا منذ الأسبوع الأول مشهداً افتتاحياً يحاكي غزّة وهي تحت القصف المُركّز الشديد في أيامه الأولى، ولكنّ هذه التباينات لم تمنع نيّة المحو والاستئصال التي تحرّك آلة الحرب النفسية والعقائدية والمادية بيد إسرائيل. المحو والاستئصال بدأ منذ عملية «البيجر» الصادمة، بقتل من قُتِل من جرّائها من عناصر حزب الله وعائلاتهم، ومحاولة عزل من نجا منهم عن دائرته الاجتماعية والحزبية والعسكرية المقاتلة، ثمّ توسيع الدائرة لتشمل بالعزل ودقّ الأسافين بقيّة مكوّنات الشعب اللبناني بطوائفه، بشكل يظهر فيه حزبُ الله، وكلّ من يدور في فلكه، حاملاً للموت أولاً، وسبباً في الهلاك والدمار للبنان برمّته ثانياً وخصوصاً. صحيح أنّنا لم نرَ أكواما من الركام (ولا نتمنّى أن نراها)، ولكن رأينا سكّان القرى المتاخمة لشمال إسرائيل يغادرونها تباعاً عبر الأودية والطرقات، ليتركوها خاويةً وراءهم على أمل العودة، وهو مشهد يحيل مرّة أخرى إلى هدف إحداث الفراغ والقطيعة مع البيئة الأصلية، الذي تضعه إسرائيل نصب عينيها، وتنفّذه بطرق شتّى، حسب الظروف وطبيعة المرحلة، وهو ما بدا أكثر وضوحاً يومَ إعلان عملية اغتيال الأمين العام لحزب الله، حسن نصرالله، في ضاحية بيروت الجنوبية، التي انهار فيها، وفي لمح البصر، مُربَّعٌ كاملٌ يضمّ تقريباً ستّ بنايات ذات طوابق عديدة، كانت بمثابة صرح من صروح الحزب في ضاحيته المزدحمة والمتلاحمة، وفي ذلك التدمير الهمجي، محوٌ لجزءٍ بصري ورمزي من كيان الحزب، إذ يكفي أن يُقال بعد سنوات «كان يوجد هنا كذا و كذا»، في صيغة الماضي. رأينا أيضاً لبنانيين من الجنوب ومن الضاحية يشدّون الرحال إلى مناطقَ قريبةٍ في سورية، أو ينزلون سلالم الطائرات في مطارات عراقية، في مشهد معاكس لما رأيناه إبّان الحرب السورية، و قبلها حرب العراق، حين كان اللجوء المؤقّت أو الدائم إلى لبنان ودولٍ أخرى في المنطقة، وبعيداً عن لعبة البروباغاندا، التي تكرّر هذا المشهد مراراً في اليوم الواحد، فإنّ الانطباع الأول المخيف هو أنّ لبنان الصغير وشعبه قليل العدد والمنتشر أصلاً في شتّى بقاع العالم، يتعرّض لعملية إفراغ.

لو كان الأمر بيد إسرائيل، وهي التي تردّد ليلاً ونهاراً اسم حزب الله من دون لبنان وتحرص مع حلفائها على توصيف حربها عليه بعملية «محدودة»، لحصلت على اسم وموقع كلّ مبنى وكلّ عمارة وكلّ بيت وكلّ مكتب أو مدرسة أو مستشفىً، أو أيّ مقرّ تابع لحزب الله في أيّ منطقة وشارع وزاوية في لبنان، لتستهدفه وتدمّره وتحوّله تراباً بلا ملامح، حتّى يتسنّى لها من خلال هذا الفعل، أو هكذا تأمل، القضاء على فكرة «حزب الله»، بالرؤية ذاتها والنهج ذاته: تعمية الذاكرة البصرية أولاً، ومن ثمّ، ومع مرور الوقت ومراكمة الاستهدافات والأهداف، تغييبه مادّياً وفكرياً، وهو الوجه الآخر لسياسة «كيّ الوعي» التي مارستها مع القضية الفلسطينية ككلّ.

تصف حكومة نتنياهو حربها في لبنان بالعملية الدقيقة، في استعارة من مشهد عملية جراحية لاستئصال ورم منتشر في جسد يحرص الجرّاح، وهو يحاول إزالته، ألّا يؤذي أيَّ عضوٍ آخرَ في جسم المريض، وهي استعارة منافقة، تطمئن اللبنانيين من غير بيئة حزب الله بأنّها حريصة على سلامتهم، وهي تفعل ما تفعل «من أجلهم» أيضاً. وليس الأمر أكثر من حقنةٍ مهدِّئةٍ ذات مفعول مؤقّت. فخريطة «الشرق الأوسط الجديد»، التي يلوّح بها نتنياهو في المحافل الدولية، تكذّب عبارات الطمأنة تلك، ويكذّبها التلويح المُتكرّر للعرب، ولكلّ من يفكّر في مواجهة إسرائيل، بأن «ينظروا إلى غزّة ولبنان» قبل التهوّر، وتكذّبها رسالته الصريحة للبنانيين التي يقول فيها، متصنّعاً التأثر أنّه يتذكّر «يوم كان لبنان لؤلؤة الشرق الأوسط، غير أن حزب الله حوّله مستودعَ ذخيرةٍ وأسلحةٍ وقاعدةً عسكريةً لإيران».

نتنياهو محاط بمستشارين من شتّى الاختصاصات، وإن كان من بينهم من يفهم التركيبة الذهنية والنفسية للبشر الطبيعيين، حتّى لا نقول الأسوياء، وبالذات في منطقة الشرق الأوسط، فالأجدر أن يخبروه (وهو المنفصل تماماً عنه) أنّ الذات البشرية تتمسّك عادةً بما يريد الخصم أن يسلبها إياه، وكلما بذل جهداً أكبرَ لسلبه إلى حدّ الإجرام في حقّها، ازداد اليقين بأنّه شيء لا يُقدَّر بثمن لا يمكن التفريط فيه، وبأنّ الذاكرة تعيد ترميم ذاتها فتصبح أقوى كلّما انتُزِع بالقوّة والعنف ما انطبع فيها، وأنّ الأماكن مهمّةٌ، ولكنها ليست كلّ شيء في تشكيل الوعي وتمييز الأحداث وحفظ محطّات التاريخ. ولمن يرى في نتنياهو متعجرفاً مجنوناً، يهدّد بكل شيء، ولكنّه لا يفعل كلّ ما يهدّد به، يقدم لنا التاريخ نماذجَ مثله، نفّذوا ما هدّدوا به وغيروا مجرى التاريخ والخريطة الجغرافية، ولا يبدو أنّه توجد قوّةٌ فعلية مستعدّة الآن لإيقافه، عدا حدْس بأنّ الفاعلين يتفرجّون عليه عاجزين وهو يهرول نحو نهايته. و قد يأخذ معه بعضهم وهو يهوي.

(من أسرة تلفزيون العربي)

لبنان درسٌ لأكراد سورية

شفان إبراهيم

أعيدُ كتابة اقتباس نُشِر في مقالي «لُبنان الذي يفيضُ موتاً» («العربي الجديد»، 30 /9/ 2024) عن جنوب لُبنان ومقصلته ودمائه المهدورة، إذ إنّ «الشماتة شعورٌ مرذول وغير إنساني بداهةً»، لكن الاستفادة من دروس الآخرين تعتبر عقلاً سياسياً راجحاً. والمؤسف أنّه الفعل المفقود، والمطلوب حالياً في الوسط الكردي، والمؤسف أنّ لبنان، قِبلة عشاق الحرية، تحوّل رُكاماً من الجثث بفعل الحرب الإسرائيلية عليه، والأسوأ أنّ الأبرياء يدفعون ثمن مغامرات الآخرين، ولنتصوّر أنّ القواعد الاجتماعية المسالمة والمدنية أيضاً تدفع ثمنَ تداعيات الحرب الإسرائيلية على غزّة. أيُّ بؤسٍ يعيشه لبنان! حرب إسرائيل على لبنان هي الشغل الشاغل للعالم، ولا بدّ أن يتحوّل درساً قاسياً للكرد في سورية، بل أن يحوز اهتماماً يفوق أيّ قضية أخرى؛ فما يحدث في لبنان ارتدادات وانعكاسات ستعيد ترتيب الواقع السوري حتماً، ما يعني أنّ القضية لا تتعلّق بالمصطفّين في دائرة النظام والموالاة فقط، ولا حتّى في صفوف المعارضة وجيشها الوطني، الذي لا نكنّ نحن الأكراد لبعض فصائله سوى أشكال الرفض والاستهجان كافّة، لما اقترفته عناصره من جميع أشكال الانتهاكات والجرائم ضدّ المدنيين في عفرين وسري كانيه (رأس العين). وعلاقة تلك الفصائل بما تدور حوله المقالة، هي أنّ التغيّرات التي ستطرأ على سورية، لن تكون تركيا في معزل عنها أو بعيدةً من نتائجها، خاصّة لما شكّلته أدوار إيران وحزب الله وتركيا من ثقل في راهن ومستقبل الشرق الأوسط، وسورية من ضمنه.

فمن أكثر السيناريوهات ترجيحاً أنّ وجود إيران في سورية لن يرضي تلّ أبيب وآلتها الحربية، وفي حال انسحابها أو تقليص نفوذها، فإنّ سدّ الفراغ الذي ستُشكّله غالباً سيكون في صالح روسيا والقوات النظامية السورية، خاصّة في مناطق دير الزور والبوكمال، وحلب حيث ستتنافس معهم تركيا، وهو ما يعني تغييراً في قواعد الاشتباك ونقاط التماس مع قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، العضو في التحالف الدولي. وتالياً، فإنّ تغيّرات في التوازنات العسكرية الدولية ستكون في طريقها لإحداث زلزال جديد في سورية، ما لم يكن ذلك بتوافق جميع القوى الفاعلة في الملفّ السوري. وهذه التغيّرات ستصل إلى مناطقَ وجود النفوذ التركي في شمال غربي سورية، ونقاط سيطرة فصائل المعارضة السورية، وإدلب بطبيعة الحال، التي ستكون من ضمن المقايضات والاتفاقيات غالباً، ولعلّ قصف الجيش السوري والروسي مناطقَ سيطرة أبو محمد الجولاني خير رسالة على ذلك. وأمام هذه التبدّلات التي بدأت مؤشّراتها بالظهور والتطوّر، فإنّ الواقع الكردي هو الآخر هشّ وتعيس، ويشهد تجاوزَ عضّ الأصابع إلى كسر العظم بين الأطراف السياسية. وغالب الظنّ لن تكون لطرفٍ واحدٍ قائمةٌ من دون الآخر، خاصّةً أنّ سيناريوهات الحرب الإسرائيلية على دمشق هي من ضمن احتمالات غير بعيدة، وهو ما يعني أنّ المنطقة الكردية بحاجة إلى قوّة ضبط الأمن والنظام، للحيلولة دون انجرارها إلى الفوضى، مع التأكيد أنّ كارتيلات السلطة والفساد ستنهش في لحم الأبرياء، وتستغل الفرصةَ أفضلَ استغلال، وضمن السياق ذاته، من الواضح حاجة الكرد لتمثيل سياسي ودبلوماسي، ولا يمكن للآخر أن يُقرّر مصير كرد سورية بالنيابة عنهم. ولوضع الأمور في نصابها، تفرض اللحظة الراهنة الحديث بصراحةٍ عن الواقع المرير الذي يعيشه الكرد في سورية، بدءاً من تفكيك خزّانهم البشري وتقطيع أوصال الجغرافية الكردية، وصولاً إلى تدمير روحهم المتّقدة، وهو أمرٌ يُسحب على السوريين جميعاً بطبيعة الحال، لهذا وبدلاً من العنتريات والحديث الشعوبي، لا بدّ من فتح باب نقاش صريح، بعيداً من اللغة الخشبية، على أمل أن تُفيد القضية الكردية في لحظة ما، عوضاً عن تدهورها. والانطلاقة الأساس هي أنّ الوضع الكردي في سورية خطير، ومأزوم، وعلى شفير الهاوية، ولا مكان لأيّ نقاش سفسطائي عقيم، خاصّةً أنّ الناس يسمّون الأشياء بأسمائها، ومنذ بدء العمليات العسكرية ضدّ حزب الله، وارتفاع منسوب التهديد الإسرائيلي ضدّ إيران، بدأت الساحة الكردية بالحركة مُجدَّداً، بعد أن شهدت ركوداً، ويأساً في الأعوام الماضية من حالهم وحال أحزابهم، وبدأت حركة النُخَب بالتسارع ما بين التحليل وإبداء الرأي، أو تقديم قراءات وتوقّعات.

> لن يكون من نتائج العنف سوى مزيد من العنف، ولا مخرجات للتحريض سوى كثير من ردّات الفعل على التحريض

> الموقف من جرائم اقترفتها فصائل سورية معارضة لا يعني الاستعداد للانقضاض على كُلّ ما يمّت بصلة للسوريين المُعارضين

ومن ضمن تلك الأصوات، ثمّة من يُقدّم مقارنةً واضحةً بين السوريين الذين يُمنعون من العودة إلى ديارهم، خاصّةً في الغوطة وأرياف حمص وإدلب وحلب، وفي الوقت الذي لا يزالون يتّخذون من الخيام ملجأً ووطناً مؤقّتاً لهم بسبب الهجرة والتهجير والحرب التي دارت هناك... نقول، ثمّة من يقارن وضع هؤلاء بوضع أهالي عفرين وسري كانيه (رأس العين) وتل أبيض، الذين يُمنعون أيضاً من العودة إلى ديارهم، مع الكمّ الكبير من النهب والانتهاكات التي تحصل هناك، وهؤلاء كلّهم ينتظرون أن تتغيّر موازين القوى على أمل العودة إلى ديارهم. هذا النقاش يقود أصحابه إلى البحث عن أفضل السُبل التي تقي الكرد شبحَ حروبٍ جديدةٍ، وتحملهم إلى برّ الأمان، وتحمي الكرد في سورية من ثلاثة خطابات عقيمةٍ، أولها الخطاب الطائفي الذي يُحرّض على الحرب، ولا شيء سواها، في التعامل مع الكرد، وهو ما يقود لخطاب الكراهية والعنف ضدّ الكرد. وثالث الخطابات هو خطاب التشفّي، وهذا يخصّ الكرد فيما بينهم أيضاً، مستقبلاً داخلياً، وليس خارجياً فحسب. وهو ما يقود إلى ضرورة اتّباع خطاب إعلامي كردي يُحفّز النُخَب الكردية، والشباب، والشرائح كافّة، على انتظار إعادة إحياء الحوارات الكردية الكردية الداخلية، عوضاً عن حملات التشهير والتخوين والتحريض، التي تطاول قيادات وصحافيين وكتّابا وباحثين كردا، وبالعموم لن يكون من نتائج العنف سوى المزيد من العنف، ولا مخرجات للتحريض سوى كثير من ردّات الفعل على التحريض، وهو ما يُعجّل في الانزلاق صوب عدمية ضارّة بالقضية الكردية. وفي هذه الأجواء المشحونة والمُخيفة، المطلوب أن لا ينسى الكرد أنّهم جزء من سورية، وأنّ السوريين أيضاً دفعوا أنهاراً من الدماء، وأنّ الموقف من الجرائم التي اقترفتها بعض فصائل المعارضة السورية، لا يعني بأيّ شكلٍ من الأشكال أخذَ وضعية الاستعداد للانقضاض على كُلّ ما يمّت بصلة للسوريين المُعارضين، وإلّا فنحن نجرح عدالة القضية الكردية نفسها. وعلى ذلك، فإنّ مزج القضية القومية الكردية في الحوار الكردي مع الديمقراطية وملفّ الحرّيات والتوازن الوطني، هو العمق الذي يجب أن يُعمَّم. ثمّة قواعد تفاهم واضحة في سورية، بين إسرائيل وروسيا، وبين الأخيرة وأميركا، وواشنطن مع أنقرة، التي تتّفق أيضاً مع روسيا، وكُلّها على قدر كبير من الأهمية، من ضمنها أُزيلت كثير من الخطوط الحمراء بشأن عدة قضايا عميقة متعلّقة بمصير المستقبل السوري، أو بشأن شخصيات فاعلة أو ما شابه. على هذا الأساس، كانت تلك القواعد لا تزال ساريةَ المفعول حتّى اليوم، وبالمعنى الأكثر تجريداً، لن يُشكّل كرد سورية شيئاً يُذكر ضمن معادلة صراع أو توافق القوة الفاعلة في الملفّ السوري، ما لم «يسمعوا الكلمة»، سواء من المصدر مباشرة، أو من جهات كردستانية فاعلة، ولو بحجمٍ وقوّةٍ أقلّ، كإقليم كوردستان العراق.

الواقع الذي فرضته الحرب على لبنان، وقبلها غزّة، وعمليات اغتيالات القيادات البارزة في حزب الله، والضغط الرهيب على إيران، يُحتّم على الجميع ضرورة تحصين القواعد الداخلية، وترتيب البيت الداخلي ضدّ المفاجأة التي ستأتي بها هذه الحرب، والتي من بينها رُبّما يكون النظام السوري هو الرابح الأكبر، إن لم يكن الوحيد فيها، والواضح أنّ مواقع ومحاور جديدة في طريقها للظهور، تحدّدها نتائجُ الحرب ومآلاتُ مصير حزب الله وإيران، ما سيعني حتماً الصراع للانتقال إلى تلك المواقع، وهو ما يُطلب من كرد سورية الاقتناع حقيقةً أنّ كُلّ شيء تغيّر، وأنّ «بياسة الراس»، واستمرار مروية «عدم التنازل»، لن تصطف إلا ضمن ملفّ المطويات والمُهملات لا غير.

(كاتب سوري)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads